جودة الحياة من منظور التربية الاسلامية على وفق رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠

الكلمات المفتاحية : جودة الحياة – التربية الاسلامية – رؤية المملكة

الاستاذ المشارك الدكتورة صفية بنت عبد الله أحمد بخيت
كلية التربية / جامعة أم القرى بمكة / المملكة العربية السعودية
sbakayt@gmail.com

الملخص

هدفت هذه الدراسة لتعرف على مفهوم جودة الحياة كمصطلح حديث له تطورات واهتمامات بحثية متنوعة عبر العصور التاريخية المختلفة بمفاهيم مختلفة ومتقاربة في المعنى وهي في جوهرها قائمة على متطلبات واسس لكنها صيغت بمصطلح جديد ومنمق حتى تأخذ طابع عصري حديث. والتربية الاسلامية لها السبق في تحقيق متطلبات جودة الحياة من خلال شريعتها وعقيدتها الشاملة والمتكاملة والمتوازنة لجميع شؤون الحياة العامة والخاصة في الكون والانسان والحياة .ومع هذا لم تخلو وثيقة رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ من الاهتمام بجودة الحياة للفرد والمجتمع.

موضوع البحث

مع استشراف المستقبل وتطلعاته في القرن الحادي والعشرين، ظهرت مفاهيم جديدة وتوجهات جادة وتحديات كبيرة في إطار ما يعرف بجودة الحياة، وجودة التعليم وغير ذلك فيما يتعلق بإتقان العمل والانتاج.

ولقد حظي مفهوم جودة الحياة باهتمام كبير في علوم الطب، والاقتصاد والاجتماع والسياسة، ويعد من المفاهيم الحديثة نسبيا في التراث النفسي؛ حيث ظهر مصطلح جودة الحياة كأحد الموضوعات في مجال علم النفس الإيجابي Positive Psychology، وهو مجال معاصر يهتم بدراسة الخصائص الإيجابية ونواحي القوة لدى الإنسان لغرض مساعدة الأفراد على إصدار السلوكيات المنتجة، والإسهام في النمو الشخصي والمجتمعي، والصحة النفسية(منصور، ٢٠٠٥، ٢٣٧)

ومن ذلك بدأت جودة الحياة من الاولويات المهمة لدى المجتمعات الغربية بعد الحرب العالمية الثانية ، وأدخل المفهوم الى معجم المفردات ، واستخدم للتعبير عن الحياة الهانئة والتي تتشكل من عدة مكونات منها : العمل ، المسكن ، والبيئة ، والصحة . (حسين ، ٢٠٠٤،٣٧)

ولكن المتأمل في أدبيات التربية الاسلامية يجد أن قصب السبق كان لها في هذا الموضوع لكونها لا تقف لتحقيق منافع مادية نفعية دنيوية، بل تنطلق من اهداف ربانية قوية، تاريخها منذ وجود الانسان على هذا الكوكب الارضي فهي وضعت له ورسمت له طريق جودة الحياة، ولكن بمصطلحات ادق واعمق واشمل واثبت في خضم معترك الحياة ،فجعلت لهم أصول يرجعون لها عند اختلافها، ومن هذه الأصول كتاب الله عز وجل قال تعالى﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(سورة الأنعام :الآية ٣٨) وجودة الحياة في التربية الاسلامية حتى تحقق متطلباتها وبعض معانيها ومقوماتها لابد أن تكون متوازنة في حاجاتها ووسطية في تعاملها وتحقق العدالة بين افرادها من خلال شموليتها لجميع نواحي الحياة حتى تحقق الرضا للأفراد والمجتمعات.

فكانت التربية الاسلامية الرائد الأول والأعظم في وضع القواعد الصحيحة والسليمة وبنائها والتي تعمل على بناء مجتمع قوي، من خلال شؤون الحياة اليومية و من خلال المسؤولية والمسائلة والمحاسبة ودرجة أداء العمل وإتقانه، وذلك قبل أن تنطلق شعارات الجودة في العصر الحالي ، وهذا يدل على أن منهج التربية الاسلامية جاء كاملا شاملا لكافة مجالات العمل، دون تخصيص أو تحديد، ولكن لم تتبلور مفاهيم الجودة في الإسلام على أيدي الباحثين الإسلاميين على شكل مفهوم متكامل على النحو الذي برز فيه الغرب و لم تخلوا وثيقة الرؤية ٢٠٣٠ للملكة العربية السعودية من تحقيق جودة الحياة من خلال المسؤولية المجتمعية والفردية ومن هذا المصطلح الحديث، الذي له عمق اسلامي ثابت وقوي وضحت " أن على كل منا كذلك مسؤولية تجاه أسرته . كما أن على كل منا مسؤوليته التي تحض على مبادئنا الاسلامية وقيمنا العربية وتقاليدنا الوطنية في مساعدة المحتاج ومعاونة الجار واكرام الضيف واحترام الزائرين وتقدير الوافدين واحترام الحقوق الانسان. وفي العمل ، ولابد من بذل الجهد والانضباط واكتساب المهارات والاستفادة منها والسعي لتحقيق الطموحات. " (رؤية ٢٠٣٠ ، ٢٠١٦، ٦٨)

أهمية البحث

تمر المجتمعات اليوم بمرحلة سريعة التغير في جميع مجالات الحياة وعلى كافة الأصعدة ، توالت عنها حالة من الارتباك وعدم الاستقرار في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وإلى الشعور بالتوجس من المستقبل بصورة جعلت من الاستمتاع بالحياة أمرا صعب المنال لمعظم فئات المجتمع وشرائحه.

و الإنسان منذ القدم يبحث عن جودة الحياة والأديان جميعها منذ نوح عليه السلام وحتى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ارسلت حتى تحقق جودة الحياة للمجتمع والافراد، من خلال تكوين الشخصية السوية وبناء الإنسان على شحذ الهمة والعلم والإدارة ومكارم الأخلاق والمساواة وعدم الظلم وتقنين العلاقة مع الآخرين ، قال تعالى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾(سورة الحجرات: الآية ١٣).

ومن هذا المنطلق اكتسبت هذه الدراسة أهميتها من امور عديدة منها :

١. حداثة معنى جودة الحياة مصطلح جديد يحمل معنى جوهري أصيل في التربية الإسلامية إذا يعد من المفاهيم والمصطلحات التي لاقت اهتماما متزايدا عند علماء النفس والطب على المستوى التطبيقي .
٢. التأكيد على عظمة التربية الاسلامية وشموليتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان .
٣. امتاز هذا القرن الذي يتسم بالانفجار المعرفي والانفجار المعلوماتي والصراعات الفكرية ومفاهيم ومصطلحات حديثة متداخلة ، مما تطلب منا أن نعمل على إعادة الاعتبار لهذا الكنز التربوي عند أبناء الأمة الاسلامية و الحضارة الاسلامية، والعمل على تطبيقها في كافة مجالات حياتنا.
٤. جاءت رؤية ٢٠٣٠ للمملكة العربية السعودية مبنية على نشر ثقافة جودة الحياة من خلال المبادرة والنهوض الفكري والعملي وعدم الاقتصار على الارباح المالية . "فجودة الحياة يريد أن يبنى قطاع اعمال لا تكفي بالوصول الى الارباح المالية فحسب ، بل يسهم في النهوض بمجتمعه ووطنه ويقوم بمسؤوليته الاجتماعية ليحقق جودة الحياة للجميع.(رؤية ٢٠٣٠ ،٢٠١٦، ٣٢)

تساؤلات البحث

١. ما النشأة التاريخية لمصطلح جودة الحياة ؟

٢. ما مفهوم جودة الحياة من منظور التربية الاسلامية ، ومتطلباتها ؟

أهداف البحث

١. معرفة النشاءة التاريخية لمصطلح جودة الحياة .

٢. بيان مفهوم جودة الحياة من منظور التربية الاسلامية ، ومتطلباتها .

منهج البحث

المنهج الوصفي :- " يصف ما هو كائن ، ويفسره ، وهو يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع ، ويهتم بالتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند الافراد والجماعات ، وطرائقها في النمو والتطور ،ولا يقتصر على جمع البيانات وتبويبها ،لأنه يتضمن قدرا من التفسير لهذه البيانات " (العساف ، ١٤٠٦هـ، ٢٠٦) وذلك عند محاولة الباحثة جمع الاقوال والاحداث والعلاقات ذات الصلة في مفهوم جودة الحياة عند بعض الفلاسفة وتطوره عبر العصور المختلفة وعلاقتها بالتربية الاسلامية .

حدود البحث

تم تحديد البحث في مجال جودة الحياة من منظور التربية الاسلامية وفق رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ .

تحديد المصطلحات

من الناحية اللغوية يرتبط مفهوم الجودة quality بالكلمة اللاتينية qualitas وهي تعني طبيعة الفرد أو طبيعة الشيء ، وتعني الدقة والإتقان.

وابن منظور يرى أن الجودة أصلها الفعل الثلاثي "جود " والجيد نقيض الرديء (ابن منظور ، د.ت ،١٣٥)

ويأتي من الفعل جود اي شيء جيد والجمع جياد بالهيئة ، ومنها أجاد الشيء اي أحسنه ، وجوده تجديدا اي قدمه على أكمل وأحسن وجه ممكن. (عزب ،٢٨، ٢٠٠٤)

فقد وردت شواهد كثيرة عن استخدام مصطلح الجودة، عند العرب يقول صاحب شذرات الذهب عن أحد الولاة :" فلما مات ولى ابنه برهان الدين هذا مكانه فسده مسده واربى عليه بكثرة علمه وحسن سياسته وجودة تدبيره واخذ في أحكام أمره" (العكبري ، د.ت ، ٥٧)

ويسجل الواقدي مواقف اهل نصيبين من الحكم الاسلامي فيقول " فلما بلغ اهل نصيبين حسن سيرتهم وعدلهم وجودة احكامهم اسلم اكثرهم " (الواقدي ، د.ت ، ١٥٤)

اما المعاجم الإنجليزية فيكثر فيها التعدد والتداخل، فقد أشار البعض الى انها تعني الامتياز، وأحياناً تعني بعض العلامات أو المؤشرات التي يمكن من خلالها تحديد الشيء أو فهم بنيته. (مصطفى، ٢٠٠٢، ٣).

عند علماء الغرب يرى فرنك أن جودة الحياة هي إدراك الفرد للعديد من الخبرات ،وبالمفهوم الواسع شعور الفرد بالرضا مع وجود الضروريات في الحياة مثل الغذاء والمسكن وما يصاحب هذا الاحساس من شعور بالإنجاز والسعادة . (الهيص ، ٢٠١٠، ٥)

و عند علماء النفس "الاستمتاع بالظروف المادية في البيئة الخارجية والإحساس بحسن الحال، وإشباع الحاجات، والرضا عن الحياة، وإدراك الفرد لقوى حياته ومضامينها وشعوره بمعنى الحياة إلى جانب الصحة الجسمية الايجابية وإحساسه بالسعادة وصولا إلى عيش حياة متناغمة متوافقة بين جوهر الإنسان والقيم السائدة في مجتمعه"(عبد الفتاح ، وحسين ، ٢٠٠٦، ١٢)

و هي شعور الفرد بالرضا والسعادة ،والقدرة على إشباع حاجاته من خلال ثراء البيئة ورقي الخدمات التي تقدم له، في المجالات الصحية والاجتماعية والتعليمية والنفسية، مع حسن إدارته للوقت والاستفادة منه" (منسي وكاظم، ٢٠٠٦، ٦٥)

ويذكر يالجن ان جودة الحياة قائمة على الشعور المستمر بالغبطة ،والطمأنينة ،والأريحية والبهجة ،وهذا الشعور لا يأتي إلا نتيجة الإحساس الدائم بخيرية الذات وخيرية الحياة وخيرية المصير "(يالجن ، ٢٠٠٩،٢٣)

وقد وضعت منظمة الصحة العالمية تعريفا قد اتفق الجميع عليه وهي " إدراك الفرد لوضعه في الحياة في سياق الثقافة وأنساق القيم التي يعيش فيها، ومدى تطابق أو عدم تطابق ذلك مع: أهدافه، توقعاته، قيمه، واهتماماته المتعلقة بصحته البدنية، حالته النفسية، مستوى استقلاليته، علاقاته الاجتماعية، اعتقاداته الشخصية، وعلاقته بالبيئة بصفة عامة، وبالتالي فإن جودة الحياة بهذا المعنى تشير إلى تقييمات الفرد الذاتية لظروف حياته" (العجوري، ١٤٣٤،٣٤) .

ويظهر من ذلك أن جودة الحياة استخدم كمفهوم للتعبير عن الرقى في مستوى الخدمات المادية و الاجتماعية التي تقدم لأفراد المجتمع ، كما يستخدم أحيانا أخرى للتعبير عن إدراك الأفراد لقدرة هذه الخدمات على إشباع حاجاتهم المختلفة. وهذا ما اكدت عليه وثيقة المملكة العربية السعودية في رؤية ٢٠٣٠ " من مقومات جودة الحياة بناء مجتمع حيوي ، يعيش أفراده وفق المبادئ الاسلامية، ومنهج الوسطية والاعتدال ، معتزين بهويتهم الوطنية، وفخورين بإراثهم الثقافي العريق ، في بيئة إيجابية وجاذبة ، تتوافر فيها مقومات جودة الحياة للمجتمع ، ويسندهم بنيان أسري متين ومنظومتي رعاية صحية واجتماعية ممكنة " (وثيقة الرؤية ٢٠٣٠،٢٠١٦، ١٣)

من هنا نستنتج أن التعريفات السابقة اجتمعت على ان جودة الحياة متعلقة بالفرد ، ونظرته الى الحياة رغم ما يحيط به من امال والام ،وانه يستطيع تحقيق جودة الحياة عالية من خلال قناعاته وعمله واستقراراه النفسي ،. وتطوير علاقاته الاجتماعية للاستمتاع بكافة جوانب الحياة .

وأن رؤية ٢٠٣٠ للمملكة العربية السعودية ستسعى جاهدة في تحقيق جودة الحياة من خلال توفير مقومات الحياة للأفراد والجماعات من خلال حثهم على المشاركة المجتمعية وتحقيق العدالة والوسطية والتوازن في حياتهم اليومية والاعتزاز بهويتهم الوطنية والنظرة المستقبلية والتفاؤلية للحياة

مفهوم جودة الحياة وتطوره

مفهوم جودة الحياة اسم جديد لفكرة قديمة، فهو المعني الذاتي أو الاسم الذاتي الذي يعبر به الناس عن ما يعرف بحسن حال فقد ظهر الاهتمام المتزايد لمصطلح جودة الحياة في العصور الحديثة في ثمانينيات القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية مع ارتفاع وتيرة التنافس الاقتصادي العالمي و غزو الصناعة اليابانية للأسواق العالمية، فالجودة مفهوم مقاولاتي بالأساس، يرتبط بالإنتاجية و المردودية ومن ثم انتقل إلى مجال التعليم على اعتبار أن المؤسسة التعليمية هي مؤسسة لإنتاج الكفاءات و الخبرات القادرة على الابتكار والإبداع و اللذان بدونهما لا يمكن للمقاولات الصناعية أن تطور إنتاجها و تحسن من منتوجها. ثم انتقلت بعد ذلك لدراسة حالات الافراد باعتبار انهم هم المسؤولون عن الابداع والابتكار رغم الامكانات المحدودة لديهم (صالح ، ١٩٩٠، ٥٤)

إلا أن الاهتمام بدراسة جودة الحياة قد بدأ منذ فترة تاريخية طويلة ، فمن الثابت تاريخيا أن المدن الصغيرة في العصور الوسطى كانت تتبادل الآراء والانطباعات ووجهات النظر المتعلقة برفاهية الافراد الذين يعيشون في هذه المجتمعات وطبيعة الحياة الملائمة لهم ، كذلك نشأت في المدن الكبرى والدول المتقدمة شبكات هائلة لجمع المعلومات ، لتقييم رفاهية الافراد وطبيعة الحياة الملائمة لهم ، ولم يكن الهدف في ذلك الوقت تحسين جودة الحياة بقدر ما هو استكشاف لحياتهم ومعرفة افضل انواع الرفاهية والمتعة التي يعيشها الافراد (الجوهري ، ١٩٩٤م ، ٤٥)

أي أن مفهوم جودة الحياة جاء امتدادا للجهود السابقة في علوم اخرى غير علم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس نتيجة ادراك كل من علماء الاقتصاد والاجتماع وصانعي القرار السياسي لحقيقة أن الحياة لا تقاس بالأرقام والاحصائيات، انما هي في حقيقتها استجابات ومشاعر، فالزيادة في معدلات النمو الاقتصادي، وارتفاع متوسط دخل الفرد، وتحسين مستوى ما يقدم له من خدمات ورفاهية، لا يؤدي بالضرورة الى اشباع حاجاته المتنوعة، وارضاء طموحاته الشخصية ، وتأكيد قيمه الانسانية .(ابراهيم ، ٢٠٠٥، ١٠)

ومن هنا جاء الاهتمام بدراسة الخصائص الايجابية ونواحي القوة لدى الانسان لغرض مساعدة الافراد على إصدار السلوكيات المنتجة ، والاسهام في النمو الشخصي والمجتمعي ، وهي قضية إنماء الانسان وفقا لمستويات ومعايير الايجابية ، لتحقيق جودة الحياة (منصور ، ٢٠٠٥، ٣٧٢)

وعادة ما يعبر عن مفهوم جودة الحياة بمجموعة من المتطلبات التي إذا أشبعت تجعل الفرد سعيدًا أو راضيًا. ومع ذلك من النادر أن تشبع الاحتياجات الإنسانية بصورة كاملة وبالتالي يتعذر إن لم يكن يستحيل وصول الفرد إلى حالة الرضا التام، خاصة وأنه عندما يشبع الفرد حاجة إنسانية معينة سرعان ما تظهر له حاجة أخرى باحثا عن إشباعها . ومن هنا ربما نستطيع القول أن مفهوم جودة الحياة لا يختلف فقط من شخص إلى آخر، بل يختلف كذلك من مكان إلى آخر ومن وقت إلى آخر.

و مفهوم جودة الحياة عبر عنه في الفلسفة الاغريقية بموضوع السعادة وحياة الترف(الثنيان ،٢٠٠٩،٢٨)

فيعد كتاب الاخلاق لأرسطو أحد المصادر التي وضعت مفهوم لجودة الحياة " إن أصحاب الطبقة العليا يدركون الحياة الجيدة ،بطريقة واحدة وهي أن يكونوا سعداء، ولكن مكونات السعادة عليها خلاف اذ يقول بعض الناس شيئا ما في حين يقول آخرون غيره ،ومن الشائع كذلك أن الرجل نفسه يقول أشياء مختلفة الاوقات، فعندما يقع فريسة المرض فانه يعتقد أن السعادة هي الصحة ،وعندما يكون فقيرا يرى السعادة في الغنى، ويرى ارسطو أن الحياة الطيبة تعني حالة شعورية ، ونوعا من النشاط وما الى ذلك و بالتعبير الحديث جودة الحياة (محمد ، ٢٠١٥، ٢٠٤) فالظاهر ان ارسطو بين ان جودة الحياة مختلفة عند الافراد والشخصيات حسب احتياجاتهم الشخصية الفقير يرى جودة الحياة بالمال والمريض يرى جودة الحياة بالصحة ... وما الى ذلك

وعند أرسطو أيضا في المدينة الفاضلة هي التي تكفي حاجات مواطنيها وتوفر لهم الحياة الصالحة السعيدة وتتكون المدينة من مجموعة من القرى التي تكونت بدورها من مجموعة من الأفراد فأرسطو يرى أن السعادة في المدينة، أي في النظام الذي يقوم به حكم المدينة هي التي توفر للمواطن الحياة الطيبة الصالحة وفي ظلها تتحقق الفضائل التي تؤدي إلى السعادة (مطر ١٩٨٦ ، ٤٠)

إذن غاية المدينة عند أرسطو هي الحياة الطيبة السعيدة التي يمكن للفرد في ظلها أن يبلغ كماله ويحقق فضائله ومن ثم يبلغ سعادته ويرى أرسطو أنه لا يكفي أن تقوم الدولة بتوفير الوسائل المادية من شق طرق وتوفير مصارف وغيرها من الوسائل. المادية فحسب بل ينبغي أن تهيئ لمواطنيها طرق الفضيلة والعدالة(مطر ، ١٩٨٦ ، ٤١)

مما يدل أن ارسطو اكد على أن جودة الحياة قائمة على حكم المدينة من العدل والفضائل عامة و الخيرية منها.

أما جودة الحياة عند أفلاطون تتمثل في العدالة فعبر عنها بأنه "هو الشخص السعيد لأن نفسه صالحة وكاملة وبما أن للعدالة في رأي أفلاطون صفات أساسية فالفرد العادل متفق مع نفسه سعيد، والدولة العادلة متوافقة الأجزاء سعيدة. (مطر ، ١٩٨٦ ، ٤١) فالعدالة عند افلاطون جزء لا يتجزأ من تحقيق جودة الحياة القائمة على رضا الافراد قبل رضا الجماعات .

من ذلك تعتبر العدالة هي المحور الأساس وتعني عند أفلاطون" أن يلتزم كل شخص في الدولة عمله الخاص دون التدخل في شئون غيره" وكل هذا من أجل أن تصل الدولة إلى هدفها المنشود ألا وهو إسعاد جميع أهلها قدر الإمكان(زكريا ، ١٩٦٧،٥٦٦) فالعدالة المجتمعية التي يحققها اصحاب المكانة والسلطات للأفراد إذن هي السبيل الوحيد عند أفلاطون للسعادة وتحقيق جودة الحياة .

وكذلك عبر أرسطاطليس عن جودة الحياة "بأن لكل فعل يقوم به الإنسان غاية ما ، وحدد هذه الغاية بأنها الخير، وهذا الخير يعد الهدف النهائي الذي يطمح إليه جميع البشر، فيقول : " وإن كل صناعة وكل مذهب، وكذلك كل فعل واختيار فقد يعلم أنه إنما نتشوق به خيراً ما . ولذلك أجاد من حكم على الخير أنه الشيء الذي يتشوقه الكل."(ارسطاطاليس، ١٩٧٩، ٥٣)

وهكذا يقرر أرسطاطليس مبدأ الغائية في حياة الإنسان، ويظهر ذلك بوضوح حينما يجعل غاية الإنسان ووظيفته في التعقل والتفلسف ، لأجل ذلك التفلسف هو الخير الأقصى ، وهو بدوره قوام الحياة والأخلاق .(الطويل ، ١٩٧٩، ٨٤)

وينوه أرسطاطليس إلى أن السعيد قد يحل محل سعادته أحياناً الشقاء ،وما يحصله هذا المرء من السعادة لا يأتي بالمصادفة أو الاتفاق على نحو ما أسلفنا بل تكون سعادته في الفعل الموافق للفضيلة .وهذا الفعل يتميز بالثبات ،وثباته أكثر من ثبات المعارف العلمية نفسها .وهكذا تكون أفعال الإنسان السعيد من الأفعال الثابتة ، وهذا الإنسان يظل سعيداً طوال حياته ؛ لأن أفعاله تكون موافقة للفضيلة .ويتميز هذا الإنسان بأنه يتحمل ضربات الحظ والشر بمنتهي القوة .وهذا الإنسان السعيد مهما أصابه من مصائب وشرور بالقدر أو الاتفاق ، فإن هذا الإنسان يتحمل كل ذلك بكل ما أوتى من قوة ، لذلك فالإنسان السعيد يحصل السعادة رغم ما يصيبه من مصائب ، ولا يمكن أن يشقى أبدا لأنه لا يرتكب أية شرور ،إذا الإنسان العاقل والفاضل يتحمل كل تقلبات الاقدار والاتفاق، وهو يحاول جاهدا أن يكون فعله موافقا للفضيلة والنبل، وهذا الإنسان السعيد لا يمكن رغم ما يلقاه من مصائب أن يصير شقيا ، وهذا الإنسان إذا أصابته بعض المصائب فإنه يستعيد سعادته بعد زمن طويل لا بعد وقت قليل .(السيد ، ١٩٢٣، ٥٧)

ومن هنا يضح لنا ان جودة الحياة عند أرسطاطليس قائمة على التحمل والصبر والرضا بما يحصل للإنسان من خير ومصائب ، والثبات على الحق والخيرية هو اكبر عامل على تحقيق جودة الحياة .

ومن جانب أخر فان جودة الحياة كما يرى (ليتوين) أن لا تقتصر على تذليل الصعاب والتصدي للعقبات والامور السلبية فقط ، بل تتعدى ذلك الى تنمية النواحي الايجابية .(بخش ، ٢٠١٢، ٢٢)

لكن ديوي يرى أن السعادة الإنسانية تتحقق بقدرة العقل على تغيير أفكار المجتمع بما يتماشى مع التقدم العلمي، حيث يبدو العقل في نظر "ديوي" ليس أداة للمعرفة وإنما وسيلة للحياة ، كما تبدو قيمة الفرد كبيرة في الفلسفة البراغماتية إذْ تضعه في الاعتبار الأول لأنه يحمل الفكر المبدع ويضع العمل ويصاحب تطبيقه، فهو بعقله مهم في كل تغير وتطور ذلك لان عقله حسب "ديوي" جزء من الطبيعة يحاول دائما التكيف معها، وهو بذلك قابل للتربية قبول الطبيعة للتغير والتحول. إذن فالحياة الصالحة والمعرفة السليمة والتفكير الصحيح ومكانة الإنسان في الكون إنما تقع جميعها ضمن المجالات الفلسفية التي أهتم بها "جون ديوي"، لأن جميعها يتكاتف لتحقيق سعادة الفرد في الحياه .(ديوي ، ١٩٦٠، ٩٤)

ومن هنا قام (أورت وآخرون) بتوجيه نظر الباحثين الى اهمية البحث في تحسين جودة الحياة من خلال المساندة الاجتماعية ،وبرامج للتداخل وتنمية الصحة النفسية التي تتضمن تنمية تقدير الذات والتفاؤل والرضا عن الحياة وفعالية الذات ، ومعنى الحياة ، وذلك تحسين الرعاية الصحية للفرد ، والعمل على اعداد برامج وقائية وعلاجية .(ابو راسين ٢٠١٢،،٣٠)

فمفهوم جودة الحياة حسب المنظور الفلسفي جاء من أجل وضع أن الفكرة لا يمكن أن تتحول إلى اعتقاد إلا إذا أثبتت نجاحها على المستوى العملي أو القيمة الفورية ،والمستوى العملي أقرب إلى مفهوم السعادة والرفاهية الشخصية منه إلى أي مفهوم آخر. وينظر إلى جودة الحياة من منظور فلسفي آخر على أن هذه السعادة المأمولة لا يمكن للإنسان الحصول عليها إلا إذ حرر نفسه من أسر الواقع وحلق في فضاء مثالية تدفع بالإنسان إلى التسامي على ذلك الواقع الخانق وترك العنان للحظات من خيال إبداعي ثريٍ، وبالتالي فجودة الحياة من هذا المنظور "مفارقة للواقع تلمسًا لسعادة متخيلة حالمة يعيش فيها الإنسان

حالة من التجاهل التام لآلام ومصاعب الحياة والذوبان في صفاء روحي مفارق لكل قيمة مادية". (سليمان ،٢٠٠٩،٧٣)

فإعمال العقل والمعرفة الصحيحة ،وتنمية النواحي الإيجابية رغم الصعاب ، تجعل الفرد يحقق جودة الحياة لنفسه ولمن حوله ان استطاع ان يعيش بتفكير منطقي معرفي قائمة على الإيجابية والقوة الخيرية التي يحملها كل فرد في نفسه.

جودة الحياة من منظور التربية الاسلامية

وعند الحديث عن جودة الحياة في التربية الاسلامية نجدها أنها عقيدة وشريعة واخلاقا ومنهج حياة متعلقة بالكون والحياة والانسان فهي كمال الجودة وتمامها ومن ذلك يظهر لنا البعد اللانهائي في قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة المائدة ،الآية ٣) وكيف لا يكون الاسلام هو كمال الجودة أن كان الاحسان والاتقان والعمل الحسن والانضباط ، الذي لا خلل فيه هو مظهر من مظاهره الاساسية في الإسلام الذي يدعو دعوة مطلقة الى الاحسان قال تعالى ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة النمل ،الآية ٨٨) وقال تعالى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (سورة هود، الآية ٧) واذا كان البيان القرآني ندب الى الجودة والاتقان فسنة الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت تدفع الامة الى الالتزام بالجودة والاتقان في كل فعل وفي كل امر من أمور الناس جميعا، في قوله (صلى الله عليه وسلم) " إن الله كتب الاحسان في كل شيء " (مسلم ، ٢٠١٦،رقم٣٢٧) والاحسان مرتبة عند الله فوق الإسلام والإيمان ،بمعنى أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك فهي من أعظم الأمور التي يفعلها المؤمن بحق الله عزّ وجل ، وقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلّم) عن الإحسان (أن تعبد الله كأنّكَ تراه فإن لم تكن تراه فإنّهُ يراك)(البخاري ،١٤١٠، رقم ٥٢) وهذا يدل على قمة الجودة والاتقان في كل مجالات الحياة .

فشمولية التربية الاسلامية ، وتغطيتها لكل جوانب الحياة تدعوا الى الجودة والاتقان في عموميات الحياة وفروعها وتفصيلها، يقول عليه الصلاة والسلام:(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)(الطبري ،١٤٠٧ ،رقمه ٥٢١)

وجودة الحياة هي منهج الدعوة في التربية الاسلامية التي دعت اليها الشريعة الاسلامية وطبقها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حياته ومن وجاء من بعده الخلفاء فكانوا عليها احرص في حكمهم وعدالتهم ،"فحينما استقرت الخلافة بعد وفاة سليمان بن عبدالملك الى عمر بن عبدالعزيز عمل خلال مدة خلافته بأقصى طاقته واستنفر قدراته في عمليات الاصلاح والتحسين والتنمية ونشر العدل ، حتى انتفى الفقر في عهده وفاضت الاموال وساد العدل وردت المظالم وتنعم الناس في زمنه بالحضارة " الروحية ، والعلمية ، والمادية "

فكان حوار بين عمر بين عبدالعزيز وابنه صورة عميقة في بيان جودة الحياة والوصول اليها من خلال تهذيب النفس وترويضها ومن ثم المجتمع .

قال ابن عمر : (بعد أن تولى أبوه الخلافة) يا أبتي ، ما يمنع أن تمضي لما تريد من العدل ، فو الله ما كنت أبالي ولو غلت بي وبك القدور في ذلك .

فقال عمر بن عبدالعزيز : يا بني أنا اروض الناس رياضة الصعب ، إني لا اريد أن أحيي الامر من العدل فأؤخره حتى أخرج منه الطمع من الدنيا ، فينفروا من هذه ويسكنوا لهذه ، إني أعالج أمرا قد شب عليه الصغير وشاب عليه الكبير ، الا ترضى مني أن يحيي في كل يوم سنة وفي كل يوم يميت بدعة . قال ابن عمر : بلى .(ابن كثير ، د.ت ،٣٩)

ولا يمكن ان تستقيم جودة الحياة في المجتمع إلا على العدالة والاصلاح المستمر بالتدرج مهما كانت الظروف والامكانات وإن الاصلاح والتطوير يبدأ من الفرد حتى ينتقل الى الجماعات قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (سورة الرعد : الآية ١١)

وهذا ما عبر الفارابي عنه في جودة الحياة بالسعادة وذكر أن جودة الحياة ليست في السعادة الشخصيّة، وإنما في السعادة الجماعيّة، فهو يبحث في الأشياء التي تحقق السعادة لأهل المدن كجماعة؛ فهو يقرُّ بأنَّ المعقولات والأفكار الإراديّة توجد في الروح، وأنَّ الأفكار الطبيعيّة المُنتمية إلى علم المبادئ توجد في الجسد، فالسعادة غاية في حد ذاتها ما دامت تطلب وتأخذ لذاتها بعيداً عن أي نوع من المصلحة، وفي نظره فالسعادة لا ترتبط بالجسد وليست إشباعاً للذة، و غير متوفرة في عالم الحس وأننا لا نولد سعداء؛ إنما هي في التفكير والفهم والوعي الفكريّ العميق للأشياء، مما يعني هذا أنّ السعادة ممارسة للتفكير والتأمل

والاحتكام إلى المنطق بالتمييز بين الصحيح والخاطئ، و قوة التمييز هذه مرتبطة بقوة الذهن على تحصيل الصواب الذي نأخذ به، و الباطل الذي نتجنّبه .(الفارابي،١٩٩٥،١٥)

وعبر ابن مسكويه عن جودة الحياة من خلال حديثه عن الأخلاق إذ ذهب إلى أن العمل الأخلاقي "هو مجموعة من الفضائل التي تؤدى إلى غاية سامية وهي السعادة الأبدية التي تكون في الدار الآخرة" وإن الإنسان الفرد لا يستطيع بلوغ هذه السعادة إلا بالتعاون مع الآخرين. وهذا قريب من رأي الفارابي في السعادة. ويفرق ابن مسكويه بين السعادة والخير قائلاً : "الخير عام للجميع أما السعادة فإنها حال خاصة تختلف بين إنسان وإنسان.(ابن مسكويه ،٢٠١١، ١٨)

ويذكر يالجن وهو من العلماء المعاصرين في الاسلام ان جودة الحياة قائمة على الشعور المستمر بالغبطة ،والطمأنينة ،والأريحية والبهجة ،وهذا الشعور لا يأتي إلا نتيجة الإحساس الدائم بخيرية الذات وخيرية الحياة وخيرية المصير "(يالجن ، ٢٠٠٩،٢٣)

من خلال ما سبق يظهر لنا أن جودة الحياة اتفقت عند علماء المسلمين وعلماء الغرب على الخيرية والفضائل والعدالة والتفكير السليم والتفائل والطمانية ، واتقان العمل ،مراقبة الذات ، ومن ذلك تعتبر التربية الاسلامية أن جودة الحياة من الاساسيات التي تدعوا اليها من خلال العدالة المجتمعية والتوازن في متطلبات الحياة والوسطية في التعامل لتحقيق الرضا

بعض متطلبات جودة الحياة من منظور التربية الاسلامية

التربية الاسلامية لم تغفل جانب الانساني بأي حال من الاحوال مع أنها ربانية المصدر والاحكام والتشريعات إلا أنها راعت الحالة الانسانية المتقلبة والمتغيرة فجأت التربية الاسلامية لها عدة متطلبات تربوية قائمة على عدة عوامل حتى تتحقق جودة الحياة منها :-

التوازن

حتى يتمتع الانسان بجودة الحياة العالية ويشعر بالرضا والسعادة لابد أن يوازن في أمور حياته الدنيوية والأخرويه ومتطلبات حياتها الجسدية والروحية وعلاقاتها الفردية والجماعية لابد أن يشعر بالتوازُن في كل شؤون الحياة وهي القاعدة الكبرى في التربية الإسلامية.

فهي تقوم على التوازن بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا﴾ (سورة القصص، الآية ٧٧).

إن إرهاق النفس ولو في طلب العبادة لا يطلبه الإسلام ولا يرضاه؛ لأن ما فيه مشقة ما فوق المعتاد لا يمكن المداومة عليه، وقد ينقطع به الجهد عنه، وقد ورد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ؛ ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله؛ فإن المنبت لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى)(ابن ماجة ،١٤١٧، رقم ٥٤١) ،وقد ورد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه: (اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي) (ابو مسلم ،١٤١٦، رقم ٨٣٥)

وجودة الحياة في الإسلام لها هدف أساس، وهو تحقيق التوازن بين مصلحة الجماعة والفرد، بقصد تحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخر، وتمكينه من أداء الهدف الذي خلق من أجله، قال تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات: الآية٥٦)، ولذا يجب أن تكون الوسائل الموصلة لذلك نبيلة، ولقد فشلت نماذج التنمية الشرقية والغربية في تحقيق السعادة ، لأنها افتقدت الهدف، وجعلت الوسائل أهدافا في حد ذاتها،(احمد ٧٤،١٩٩٧) وإن حققت وفراً مالياً إلا أنها استعبدت الإنسان بدلاً من أن تحقق له السعادة والرفاه فجاءت الرؤية تؤكد على " أن الثقافة والترفيه والنمط الصحي المتوازن من مقومات جودة الحياة " (رؤية ٢٠٣٠ ،٢٠١٦، ٢٣) و أن جودة الحياة في ملخصها هي "وعي الفرد بتحقق التوازن بين الجوانب الجسمية والنفسية والاجتماعية لتحقيق الرضا عن الحياة والاستمتاع بها والوجود الإيجابي. فجودة الحياة تعبر عن التوافق النفسي كما يعبر عنه بالسعادة والرضا عن الحياة كناتج لظروف المعيشة الحياتية للأفراد وعن الإدراك الذاتي للحياة، حيث ترتبط جودة الحياة بالإدراك الذاتي للحياة لكون هذا الإدراك يؤثر على تقييم الفرد للجوانب الموضوعية للحياة كالتعليم والعمل ومستوى المعيشة والعلاقات الاجتماعية من ناحية، وأهمية هذه الموضوعات بالنسبة للفرد في وقت معين وظروف معينة من ناحية أخرى.(ابو حلاوة، ٨٩،٢٠١٠)

فالتربية الإسلامية تدعوا الى تحقيق التوازن في تربية الفرد بين الجسم والروح، فالجسم مطية الروح في أداءها وواجباتها، بحيث لا يطغى فيها جانب على حساب جانب آخر، ولا يغفل فيها جانب بسبب الاهتمام الزائد بجوانب أخرى غيره، والتوازن في حياة الفرد وشخصيته، أن الأولويات تبدأ بحق الله تعالى ثم حق الإنسان مع نفسه وأهله وجيرانه....وهكذا لتحقيق التوازن لا يغالي ولا يفرط بل يقدم الأهم فالمهم فالأقل أهمية....وهكذا. حتى نحقق جودة

الحياة وواجب أن نراجع اهتماماتنا ونصحح أوضاعنا ونضع كل شيء في موضعه لا نؤخر ما حقه التقديم ولا نقدم ما حقه التأخير ولا نعظم ما حقه التصغير ولا نصغر ما حقه التعظيم حتي نسعد في الدنيا وننجز ما هو مطلوب منا فنفوز في الآخرة ،ولا رهبنة في الإسلام على عكس التربية المسيحية كما أنه لا إغراق في ماديات الحياة كالفلسفات المادية.

الوسطية

التربية الاسلامية حتى تصل الى التوازن لتحقيق جودة الحياة لابد ان تكون وسطية في جميع مجالات حياتها بكافة جوانبها ، فهي ليست مادية فحسب أو روحية فحسب، وليست دنيوية فحسب أو اخرويه فحسب، وإنما هي وسط بين كل ذلك، وهذا الموقف الوسط أو المتوازن للتربية الإسلامية يجعلها أقرب ما تكون إلى طبيعة الأشياء فخير الأمور الوسط ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(سورة البقرة: الآية ١٤٣)

لتحقيق جودة الحياة لابد أن يكون الفرد وسط في جميع حالته النفسية والجسدية والمجتمعية يمتزج ذلك بين الأصالة والمعاصرة، بشمولها لكل مظاهر الحياة في العقائد والعبادات والنظم والتشريعات والآداب والسلوك، مراعية لطبيعة الإنسان وفطرته التي فطر الله الناس عليها.

ومن معالم الهوية الوسطية الإسلامية الانفتاح على حضارات العالم المختلفة والتواصل معها أخذاً وعطاءً في المشترك الإنساني دون ذوبان في الآخر،(فالحكمة ضالة المؤمن أنا وجدها فهو احق بها (الترمذي ، ١٤٠٣،رقم ٥١) ولا تنازل عن الثوابت والخصوصية. ويجب على المسلمين النهوض والعمل والبحث مستلهمين تجرتبهم الحضارية التاريخية على وفق رؤية عصرية قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات :الآية ١٣)

من هذا المنطلق يعرّف القرآن الكريم المسلمين بوصفهم «الأمة الوسط» أي المجتمع المعتدل المالك لسعادة الدنيا والآخرة ويعتبرهم حجة وشاهداً على سائر أمم الدنيا أو مربِّين لهم وقادة عليهم فيقول: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... ﴾ (سورة البقرة: الآية ١٤٣).

من مظاهر الوسطية في التربية الاسلامية أن أحكامه الشرعية تتسم بالمرونة، وقابلية تشريعاته للتجديد، والتمشي مع مقتضيات العصر والحاجات والمسائل المستجدة، رحمة بالناس .

فتعاليم الإسلام بسيطة وسهلة ومرنة .. وهي تتسم بالتطور الخصب كما يقول توماس آرنولد، "وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها وهي على وجه التحقيق؛ من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام.." (توماس . و. آرنولد ،١٩٧١،٣٢٥)

ويقول الدكتور "إيزيكو انسابا توحين" أحد علماء القانون:" إن الإسلام يتمشى مع مقتضيات الحاجات الظاهرة فهو يستطيع أن يتطور دون أن يتضاءل خلال القرون ، ويبقى محتفظاً بكل ما لديه من قوة الحياة والمرونة . فهو الذي أعطا العالم أرسخ الشرائع ثباتاً، وشريعته تفوق كثيرًا الشرائع الأوربية"(الزنداني ، ١٣٨٩،٢٢٢)

وكذلك أشار الفارابي في نظرته إلى الوسطية وفي كون الفضائل هيئات إنسانية وملكات متوسطة بين الإفراط والنقص. الفضائل صنفان: نطقية مثل الحكمة والعقل وجودة الفهم، وخلقية مثل العفة والشجاعة والسخاء والعدالة. وهذه الأخيرة ترسخ في النفس نتيجة التكرار والاعتياد فالإنسان لا يولد على الفضيلة وإن كان قد يمتلك استعدادا لها فإذا اجتمع الاستعداد مع الاعتياد تحقق التمام والكمال. يرى الفارابي أن "الشرور تزال عن المدن أما بالفضائل التي تمكن في نفوس الناس، وإما بأن يصيروا ضابطين لأنفسهم". وفي الحالتين نكون أمام ممارسة الوسطية إما من خلال فضائل ترسخت في الشخصية نتيجة الاعتياد والممارسة، أو من خلال اعتماد الوسطية في تهذيب الانفعالات واختيار السلوك الأمثل(مدي، ٢٠٠٤،٢٧)

و الطريق لبلوغ السعادة، قد يوفر علينا الكثير من التأخير والعناء. وهو الطريق الوسط، أو الوسط الذهبي، حيث تُنَظم الأخلاق في شكل ثلاثي يكون الطرفان الأول والأخير فيه تطرفاً ورذيلة. والوسط فضيلة أو فضل. وهكذا يكون بين التهور والجبن فضيلة الشجاعة، وبين البخل والاسراف فضيلة الكرم، وبين الكسل والجشع فضيلة الطموح، وبين البخل والإسراف فضيلة الكرم، وبين الكتمان والثرثرة فضيلة الأمانة، وبين الكآبة والمزاح فضيلة البشاشة، وبين محبة الخصام والتملق فضيلة الصداقة. عندئذ لا يختلف الصواب في الأخلاق والسلوك عن الصواب في الرياضيات والهندسة، حيث يعني الصحيح والمناسب وأفضل عمل لأفضل نتيجة، على كل حال فإن الوسط الذهبي ليس كالوسط الرياضي، أي متوسط محكم النقيضين محسوبين بدقة. ولكن يتذبذب مع الظروف المحاذية لكل وضع، ويبدي نفسه

للعقل الناضج المرن فقط. إن الفضيلة فن يمكن كسبه بالمران والعادة.(ويل ديورانت ، د،ت ، ٦٨)

والتربية الاسلامية حتى تحقق جودة الحياة بدرجة عالية بين الافراد جاءت تدعو الى الوسطية في احكامها وتشريعاتها وعباداتها من دون غلو او رهبنة فكانت متدرجة في احكامها ووضعت الرخص في بعض التشريعات ويسرت في عبادتها حسب ما تقتضيه الحالة ومنها كانت الرؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ قائمة على الوسطية بين افرادها ومجتمعاتها لتحقيق التنمية في شتى المجالات من خلال وضع مرتكزات وقيم تربوية متناسقة مع التربية الاسلامية وفق الشريعة الاسلامية "من لذلك ستكون نقطة انطلاقتنا نحو تحقيق رؤية ٢٠٣٠ هي العمل بتلك المبادئ ، وسيكون منهج الوسطية وقيم الاتقان والانضباط والعدالة المرتكزات الاساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات لتحقيق جودة الحياة .(رؤية ٢٠٣٠ ، ٢٠١٦، ٥٨)

العدالة

التربية الاسلامية حتى تحقق الوسطية في مجالاتها لابد ان تحقق العدالة المجتمعية والفردية حتى يأمن الافراد فيها من الجور والظلم والخوف و أمة الإسلام هي أمة الحق والعدل، وقد أقام الرسول صلى الله عليه وسلم العدل، وكان نموذجًا في أعلى درجاته، وأقامه خلفاؤه من بعده.

فقد ورد (أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزيَّة حليف بني عدي ابن النجار قال: وهو مستنتل من الصف، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقدح في بطنه، وقال: استو يا سواد. فقال: يا رسول الله، أوجعتني، وقد بعثك الله بالعدل، فأقدني. قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: استقد. قال: يا رسول الله، إنَّك طعنتني، وليس عليَّ قميص. قال: فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه، وقال: استقد قال: فاعتنقه، وقبَّل بطنه، وقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله، حضرني ما ترى، ولم آمن القتل، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك. فدعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) له بخير)(أبو نعيم ،١٤١٩،٧٩) (ابن هشام ، ١٤٢، ١٩٩٠)

و أن الأمن في العدل، وأن السلامة مع الاستقامة، وأن الطمأنينة في الزهد، والنجاح في الصلاح، فالفاروق عمر بن الخطاب ، يحقق اعلى درجات الجودة في الحياة لقومه من خلال اقامة العدل "أرسل ملك الفرس رسولا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما دخل المدينة سأل أهلها أين ملككم؟ فأجابوه: ليس لدينا ملك بل لنا أمير.وقد ذهب إلى ظاهر المدينة فذهب الرسول في طلب عمر رضي الله عنه فرآه نائما في الشمس على الأرض فوق الرمل وقد وضع عصاه كالوسادة والعرق يتصبب من جبينه فلما رآه على هذه الحالة وقع الخشوع في قلبه وقال رجل تهابه جميع الملوك وتكون هذه حاله!!ولكنك عَدَلت فأمِنْت فنِمْت ياعمر(ابن كثير ،دت ،٣١٦)

أما ابن مسكويه فالعدل عنده مشتق من معنى المساواة، والمساواة هي أشرف النسب. والعدالة في المعاملات هي المساواة بين الأشياء غير المتساوية والعادل يجب أن يكون عالما بطبيعة الوسط حتى يصلح الزيادة والنقصان. ويرى ابن مسكويه أن الشريعة أو ناموس الله هي التي ترسم التوسط والاعتدال في الأشياء ويعتبرها ناموس النواميس وقدوتها. المتمسك بالشريعة يعمل بطبيعة المساواة فيكتسب الخير والسعادة من وجوه العدالات لأن الشريعة لا تأمر إلا بالخير والفضيلة. يأتي بعدها الحاكم الذي يقيم العدل بين المتخاصمين ويسميه بالعدل الناطق تمييزا له عن العدل الساكت أو الدينار الذي يعتمده الناس في معاملاتهم لتحقيق العدل والمساواة في مبادلاتهم وتعاملاتهم ويسميه أيضا بالعدل المدني لأن البشر، كونهم مدنيون بالطبع، يتعاونون ويقدم بعضهم لبعض خدمات لا يمكن تقديرها أو معادلتها إلا بالدينار.(ابن مسكويه ،٢٠١١ ، ٨٢)

والتربية الاسلامية تستطيع أن تحقق السعادة والتقدم والعزة من خلال العدل والعدالة الفردية والمجتمعية من خلال تظافر الجهود ،ولن يتم ذلك إلا بتظافر جميع أفراد المجتمع من حكام ومحكومين، وقادةٍ ورعيةٍ، كلٌّ على قدر طاقته واستطاعته، وفي حدود مسؤولياته وواجباته المناطة به، فلتتضافر الجهود ، يكون بالعملِ و الإنصاف في كل المجالات الحياة ، وعلى كل الأحوال، طاعةً لله عز وجل وتقرباً إليه، فإنه حين يمتد رواق العدل، وينبسط سلطان الحق على المستوى العام والخاص بين الافراد والمجتمعات، يتحقق لها العز والتمكين، والنصرِ المبين، ويعمُّ فيها الخير و الرخاء، وينتشرُ في أرجائها المودة والإخاء، ويرتفع شعار الحق ، ويعلوا منار العدل ، لينعم الجميع بجودة الحياة

وتؤكد رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ على أن العدالة المجتمعية إنشاء وطن طموح من أهم العوامل التي ركزت عليها رؤية المملكة العربية السعودية من منظور التربية الاسلامية فذكرت " يمثل الاسلام ومبادئه منهج حياة لنا ،وهو مرجعنا في كل أنظمتنا وأعمالنا وقراراتنا وتوجهاتنا ، لقد أعزنا الله بالإسلام وبخدمة دينه ، وتأسيا بهدي الاسلام في العمل والحث على إتقانه ،وعملا بقول نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم : (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) (الطبري ،١٤٠٧ ،رقمه ٥٢١) ستكون نقطة انطلاقتنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل بتلك المبادئ ، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الاتقان والانضباط والعدالة والشفافية مرتكزاتنا الاساسية لتحقيق جودة الحياة في شتى المجالات"(رؤية ٢٠٣٠ ، ١٦)

الرضا

فحينما كانت التربية الاسلامية قائمة على التوازن في جميع متطلبات حياتها متخذ الوسطية في تعاملها من خلال تحقيق العدالة المجتمعية والفردية لتحقيق الرضا وان لم يكن الرضا التام انما هو الرضا عن كل ما هو موجود وعن كل ما هو سيكون في المستقبل من خلال ربطها بالإيمان والعمل ، فكان الإيمان هو الدافع للعمل ، وإخلاص النية في العمل يكون سبب في المثوبة والأجر

والتربية الاسلامية دين واحد تتكامل فيه العقيدة والشريعة ، فالعقيدة تدفع المؤمن لصالح الأعمال وتضبطه عن سيئاتها ، والشريعة بمبادئها العامة وأحكامها الفرعية هي دليل العمل ونظامه تبين اتجاهه وعلاقاته.

ولقد ضرب لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) النموذج والمثل الأعلى في الرضا بما قسم الله تعالى . فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ، قَالَ: اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى حَصِيرٍ ، فَأَثَّرَ في جَنْبِهِ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ ، جَعَلْتُ أَمْسَحُ جَنْبَهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلاَ آذَنْتَنَا حَتَّى نَبْسُطَ لَكَ عَلَى الْحَصِيرِ شَيْئًا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَا لي وَلِلدُّنْيَا ، مَا أَنَا وَالدُّنْيَا ، إِنَّمَا مَثَلِى وَمَثَلُ الدُّنْيَا ، كَرَاكِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا.(احمد بن حنبل ،١٤٢٠،رقم ٣٨٥٠)

والعامل الديني يعتبر من العوامل المؤثرة في مدى ما يشعر به الانسان من رضا عن الحياة ، كما أن الدين يمكن أن يتخذ كقيمة تنمي لدى الفرد المعنى الايجابي للحياة ، وتجعله أكثر

قدرة على التكيف مع الضغوط ، وأكثر قدرة على مواجهة الصعاب . (مجدي ، ٢٠٠٩،٨٥)

ويذكر شأن ابن تيمية رحمه الله عندما ورد أمر بسجنه بقلعة دمشق في عام ٧٢٦هـ، فأظهر السرور لذلك وقال: "إني كنت منتظراً ذلك وهذا فيه خير عظيم". حُبس معه بقلعة دمشق العلامة ابن القيم الجوزية، فورث منه العلوم ونقل عنه في كتابه (الكلم الطيب والعمل الصالح). ونقل عنه أنه قال: "ما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري أين رحت فهي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة .."، وكان يقول في مجلسه بالقلعة: "المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه" (رسلان، ٢٠٠٢، ٢٦).

وكذلك يرى الكرخي : أن جودة الحياة هي شعور الفرد بالرضا والسعادة والقدرة على اشباع الحاجات في أبعاد الحياة الذاتية والموضوعية والتي تشمل (النمو الشخصي ، والسعادة البدنية والمادية ، والاندماج الاجتماعي ، والحقوق البشرية) (أبو حلاوة ، ٢٠١٠، ٥٢)

وجودة الحياة توصف بأنها درجة الرضا او عدم الرضا التي يشعر بها الفرد اتجاه المظاهر المختلفة في الحياة ومدى سعادته بالوجود الانساني ، وتشمل الاهتمام بالخبرات الشخصية لمواقف الحياة ، وانها تشمل على عوامل داخلية ترتبط بأفكار الفرد حول حياته وعوامل خارجية كتلك التي تقيس سلوكيات الاتصال الاجتماعي ، النشاطات ، ومدى انجاز الفرد للمواقف (أرنوط ، ٢٠٠٨، ٣١)

والرضا عن الحياة هي حالة داخلية يشعر بها الفرد وتظهر في سلوكه وانفعالاته وتشير الى ارتياحه وتقبله لجميع مظاهر الحياة من خلال رضاه عن ذاته واسرته والآخرين ، وللبيئة المدركة من حوله ، وتفاعله مع خبراتها بصورة متوافقة، منسجمة مع غيره .

وخلق روح الرضا من أساسيات التربية الاسلامية ، التي يربيها الإسلام في المسلم ، وهي من المبادئ العظيمة التي يرتكز عليها الدين ، ومن عرف الإسلام الحق ، وجد فيه ما يدفع لروح المبادرة للخير ، وحب العدالة والتضحية ، والسعي لمصلحة الأفراد وعمل الخيرات .

ويعتبر الرضا عن الحياة أحد الجوانب الذاتية لجودة الحياة فكونك راضيا فهذا يعني أن حياتك تسير كما ينبغي ، وعندما يشبع الفرد كل توقعاته واحتياجاته ورغباته بالتوسط والاعتدال والموازنة يشعر حينها بالرضا .

ومما لا شك فيه ان التربية الاسلامية رسمت صور جودة الحياة بكل معانيها وتفصيلاتها ، ففي هذه الحياة التي تظهر فيها السنن الالهية ، والقدرة الربانية العظيمة ، والتي تجلت فيها النظم الكونية المحكمة والدقيقة لهذا الكون ، لتحقيق جودة الحياة التي من اجلها خلق الانسان لضبط اعماله واوقاته لمواجهة التحديات والصعوبات ، لبلوغ الاهداف والغايات التي لا تكون الا بالجودة المستنيرة ، والدقة المتناهية ، والابداع الطموح والمبادرة والعطاء وبذل الجهد وتحمل المسؤولية ، لتحقيق اعلى مراتب الاتقان والجودة في الحياة والشعور بالسعادة والرضا .

ومن هنا اكدت وثيقة المملكة العربية السعودية لرؤية ٢٠٣٠ على الاهتمام بالأفراد والنهوض بهم من خلال بناء مجتمع حيوي مزدهر، ووطن طموح حيث أن الثروة الحقيقية تكمن في الافراد والمجتمعات والدين الاسلامي والوحدة الوطنية التي ستحقق جودة الحياة ان لم نقل لكافة افرادهم فمعظمهم ،واكدت الوثيقة ان سعادة افرادها قائمة على تحقيق صحتهم البدنية والنفسية والاجتماعية ينعم فيه الجميع ببيئة ايجابية جذابة .

نتائج البحث

١. جودة الحياة من المتطلبات الاساسية التي قامت عليها السموات والارض وإرسال الرسل وكل الفلسفات تؤكد على أن جودة الحياة من الحاجات الاساسية التي يبحث عنها الافراد والجماعات .
٢. إن العلاقة بين جودة الحياة عبر التاريخ وفي النظرة التربوية الاسلامية متشابها في الفكر والجوهر لآنها تسعى الى تحقيق سعادة المجتمعات من خلال الافراد.
٣. تنمية شعور مفهوم جودة الحياة للأفراد والمجتمعات من المنظور الاسلامي يعزز الثقة والرضا والوسطية للأفراد .
٤. أن رؤية المملكة العربية السعودية جاءت تبين في وثيقتها أهم الركائز التي ستطبقها من أجل تحقيق جودة الحياة .

التوصيات والمقترحات

١. ادخال مفهوم جودة الحياة ضمن بعض المفردات التربوية في المقررات الدراسية .
٢. اقامة دورات تدريبية تحقق التعمق في مفاهيم واساسيات جودة الحياة من النظرة التربوية .

٣. توعية الافراد بمفهوم جودة الحياة المعنوية والتركيز عليها لأنها هي المطلوب بخلاف جودة الحياة المادية سريعة الزوال والتغير وعدم الثبات .

٤. أن جودة الحياة قائمة على متطلبات التربية الاسلامية وهي من أهم عوامل تحقيق السعادة والرضا للأفراد .

Abstract

Quality of life from the perspective of Islamic education in according to the Vision 2030

Kingdom of Saudi Arabia

Keyword: Quality of life, Islamic education, Vision

DR. Safiah Abdullah a bakheet

Umm Al Qura University - Faculty of Education - Islamic Education Department

This study aimed to identify the concept of quality of life as a modern concept, which has developments and concerns of diverse research across different historical eras with different and closed concepts in meaning. These concepts are, in essence, based on some requirements and the fundamentals, but it was formulated in new and embellished term in order to take a modern character talk. Islamic education has pioneered in achieving the quality of life requirements through its comprehensive, complete and balanced religious and doctrine, which include all public and private affairs of life in the universe and human life. However, Saudi Arabia's vision in 2030 document did not devoid of interesting in the quality of life of the individuals and society.

المراجع والمصادر

❖ **القران الكريم**

- إبراهيم ، سلوى ، ٢٠٠٥م ، نوعية الحياة المميزة للمبدعين في الادب ، رسالة ماجستير غير منشورة ، القاهرة ، جامعة عين شمس .
- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام ، ١٩٩٠، السيرة النبوية محقق عمر عبد السلام تدمري ، الناشر : دار الكتب العربي ، ط٣ ج٢ .

- ابن ماجه ، ١٤١٧هـ ، سنن ابن ماجه ، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف.
- ابن مسكويه، علي احمد ، ٢٠١١م ، تهذيب الأخلاق، تحقيق عماد الهلالي ، الناشر منشورات الجمل.
- ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .
- ابو حلاوة ، محمد السعيد ، ٢٠١٠م، جودة الحياة: المفهوم والأبعاد ورقة عمل كلية التربية بدمنهور، جامعة الإسكندرية، ضمن فعاليات المؤتمر العلمي السنوي لكلية التربية، جامعة كفر الشيخ
- أبو راسين ، محمد بن حسن ، ٢٠٢١م ، فعالية برنامج تدريبي مقترح لتحسين جودة الحياة لدى طلبة الدبلوم التربوي ، بجامعة الملك خالد بابها ، مجلة الارشاد النفسي ، عدد ٣٠ .
- أبو مسلم ، الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، ١٤١٦هـ، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، دار الخير.
- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق،١٤١٩هـ ، معرفة الصحابة، تحقيق عادل بن يوسف العزازي الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة ١
- أحمد ، عبدالعظيم محمد، ١٩٩٧م ، أسس التنمية الشاملة في المنهج الإسلامي، سلسلة دراسات وبحوث اقتصادية إسلامية (١)، جامعة الأزهر.
- أرسطاطاليس ، الأخلاق ،١٩٧٩، ترجمة إسحاق بن حنين ، حققه وشرحه وقدم له د. عبد الرحمن بدوى ، ط١ ، الناشر وكالة المطبوعات ، الكويت .
- أرنوط ، بشرى اسماعيل ، ٢٠٠٨، الذكاء الروحي وعلاقته بجودة الحياة ، مجلة رابطة التربية الحديثة ، القاهرة ، ع٢ .
- البخاري ، أبو عبدالله محمد بن ،١٤٠١هـ، صحيح البخاري ، دار الفكر ، لبنان .
- بخش ، أميرة ، ٢٠٠٦م ، جودة الحياة وعلاقتها بمفهوم الذات لدى المعاقين بصريا والعاديين بالمملكة العربية السعودية ، مجلة كلية التربية ، جامعة طنطا ، مصر ، عدد ٣٥.

- بن حنبل ،أحمد محمد ،١٤٢٠هـ، مسند الإمام أحمد ، محققه شعيب الأرناؤوط ، طبعة مؤسسة الرسالة .
- ابن كثير ، إسماعيل بن عمر أبو الفداء ،د.ت ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت، ج8 .
- الترمذي ،أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره ،١٤٠٣هـ ، في سننه الجامع الصحيح ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، لبنان .
- توماس . و. آرنولد ،١٩٧١م. الدعوة إلى الإسلام : بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ،ترجمة وتعليق : د. حسن إبراهيم حسن د. عبد المجيد عابدين د. إسماعيل النحراوي.الناشر: مكتبة النهضة المصرية ، ط٣
- الثنيان ، احمد عبدالله ، ٢٠٠٩م ، جودة الحياة وقلق المستقبل ، رسالة دكتوراه من جامعة ام القرى ، كلية التربية .
- جون ديوي، ١٩٦٠ ، البحث عن اليقين، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة – نيويورك .
- الجوهري ،هناء ، ١٩٩٤م، المتغيرات الاجتماعية الثقافية المؤثرة على نوعية الحياة في المجتمع العصري في السبعينات دراسة ميدانية على عينة من الاسر بمدينة القاهرة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة .
- حسين ، عبدالله مصطفى ، ٢٠٠٣م، الدعم الاجتماعي وموضوع الضبط وعلاقتها بمستوى الضغط النفسي لدى معاقي انتفاضة الاقصى ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم علم النفس ، جامعة الازهر ، غزة .
- حمدي ، فاتنة، ٢٠٠٤م، "الوسطية بين التنظير والتطبيق. ورقة قدمت في منتدى الفكر العربي الذي عقد في مملكة البحرين في الفترة من ٢٧ فبراير/شباط الى ٢٨.
- صالح ، ناهد ، ١٩٩٠م ، مؤشرات نوعية الحياة ، نظرة عامة على المفهوم والمدخل ، المجلة الاجتماعية القومية ، المجلد ٢٧، العدد ٢ ، مايو.
- الطبري ، محمد بن جرير ، ١٤٠٧هـ، ،تاريخ الطبري ، ط١ ، دار الكتب العلمية.
- عبد الفتاح، فوقية ، أحمد السيد؛ وحسين، محمد حسين سعيد،٢٠٠٦،العوامل الأسرية والمدرسية والمجتمعية المنبئة بجودة الحياة لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم

بمحافظة بني سويف. وقائع المؤتمر العلمي الرابع: دور الأسرة ومؤسسات المجتمع المدني في لاكتشاف ورعاية ذوي الحاجات الخاصة كلية التربية- جامعة بني سويف، ٣-٤ مايو.

- العجوري ، احمد حسين ، ١٤٣٤هـ ، الذكاء الاجتماعي وعلاقته بجودة الحياة لدى المعلمين والمعلمات بمحافظة شمال غزة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الازهر ، غزة .
- عزب ، حسام الدين محمود ، ٢٠٠٤ ، برنامج إرشادية لخفض الاكتتاب ، وتحسين جودة الحياة لدى عينة من معلمي المستقبل ، بحث مقدم في المؤتمر العلمي السنوي الثاني عشر من ٢٨، ٢٩ مارس بكلية التربية جامعة عين شمس .
- العساف ، صالح بن حمد ، ١٤١٦هـ ، المدخل الى المبحث في العلوم السلوكية ، ط١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض .
- العكبري ، عبدالحي الدمشقي ، شذرات الذهب ، دار الكتب ، بيروت ، ج٤ .
- الفارابي، أبو نصر ،١٩٩٥م، تحصيل السعادة ،دار ومكتبة الهلال ، الطبعة الأولى.
- فؤاد زكريا،١٩٦٧، دراسة لجمهورية أفلاطون، دار الكاتب العربي، القاهرة .
- محمد ، مسعودي ، ٢٠١٥م، بحوث جودة الحياة في العالم المعاصر ، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد ٢٠ سبتمبر.
- مصطفى، أحمد سيدو الأنصاري، محمد مصيلحي ، ٢٠٠٢م ،برنامج إدارة الجودة الشاملة وتطبيقاتها في المجال التربوي، قطر : المركز العربي للتدريب لدول الخليج.
- مطر ، أميرة حلمي ،١٩٨٦، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية .
- المناوي ، زين الدين ، ٢٠١٠، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة: ١.
- منسي، محمود عبد الحليم؛ وكاظم، علي مهدي ،٢٠٠٦م، مقياس جودة الحياة لطلبة الجامعة. وقائع ندوة علم النفس وجودة الحياة ، جامعة السلطان قابوس- سلطنة عمان، ١٧-١٩ ديسمبر.

- منصور ، طلعت ، ٢٠٠٥م ، الصحة النفسية كسياسة اجتماعية من اجل جودة الحياة ، بحث مقدم الى المؤتمر الدولي الثاني (الصحة النفسية في دولة الكويت) الكويت : مكتب الانماء الاجتماعي ١-٤ أبريل .
- الهمص ، صالح اسماعيل عبدالله ، ٢٠١٠ ، قلق الولادة لدى أمهات في المحافظات الجنوبية لقطاع غزة بجودة الحياة ، رسالة ماجستير منشورة تحت إشراف الجامعة الإسلامية ، غزة .
- الواقدي ، ابو عبدالله بن عمر ، فتوح الشام ، بيروت ، دار الجيل .
- وثيقة الرؤية ٢٠٣٠ ، المملكة العربية السعودية ،٢٠١٦، /http://vision2030.gov.sa
- وولتر ستيس، ١٩٧٩ ،تاريخ الفلسفة اليونانية ، توفيق الطويل : فلسفة الأخلاق : نشأتها وتطورها ، الناشر دار النهضة العربية – مصر.
- ويل ديورانت ، د.،ت ، قصة الفلسفة من افلاطون الى جون ديوي ، تحقيق فتح الله محمد مشعشع ، مكتبة المعارف بيروت ، لبنان .
- يالجن ، مقداد ، ٢٠٠٩م ، طريق السعادة ، النشر الرياض .